إلى صاحب الظلِّ العالي إسماعيل عمر "أبو شيار"

✓ **بدرخان علي**

أحسدُ، اليوم، بحقّ مَنْ لم يعرفك عن قرب، أو عَرفك كسياسيّ واحد بين المئات من القيادات الكرديّة التي تكدح لإنصاف هذا الشعب المغبون، لكنّك كنتَ عندي شيئاً آخر قبل أن تكون قياديّاً بارزاً. كنت ذاك الإنسان الكبير، الذي أشعر بندمٍ كبير على معرفتي به. أأقول تبّاً لذاك اليوم، أم ألومك على فيض إنسانيّتك؟

نفهم أنّك لم تكن تحبُّ الأضواء؛ لكن حتّى في رحيلك النهائيّ تنسحب بصمت وبلا مقدمّات؟ وتتركنا للمرّة الأولى هكذا دون أن تحسب لنا أيّ حساب من بعدك؟ ليس من شيمك أبداً أن تفكّر بالراحة لنفسك، وحدك، وتتركنا هكذا بلا سَنَد.

بلى، هي المرّة الأولى، والأخيرة، التي تتسبّب بالآلام والأحزان لغيرك. ما عهدناك كذلك يوماً ما. لكنّه خطأ السماء، في حقّ الأرض، وبحقّي، لا ذنبك.

أعرف تماماً أنّك كنت متعباً هذه السنين الأخيرة . فظاهرك هو مرآة لباطنك. كنت إنساناً طبيعيّاً، في كلّ شيء، بلا رتوش وبلا إضافات. كنت أعرف، كغيري، هشاشة قلبك من الداخل، لفرط ما حملت من أوجاع وهموم ومحبّة، رغم شموخك وكبريائك. رأيت الدموع مرّات في عينيك، دون أن تذرفها. عيناكَ مرآةُ قلبك. قلبُكَ عينا روحك. روحُكَ سرير الملائكة؛ روحُك متعَبة.

كنّا نظنّ أنك ستعيش إلى الأبد، وتواسي كلّ من تعرفه عند الملمّات والمِحَن.. أشعر بالاختناق، وأنا أفكّر فيكَ، و بالحياة من بعدك. الحياة من بعدك، أبو شيار، ليست كما هي معك.

الموتُ مصادفةٌ. لكنّ حبّك لم يكن مصادفة.

الموتُ حقيقة الكائن. حقيقة العدم. عدم الحقيقة. حقيقة الفراغ و الهيولى. تلاشي الحقيقة. يا لسخرية القدر أن تموت، وحيداً، في بيتك الذي لم تأوِ إليه، إلاّ قليلاً. أمّا كيف تجرّأ أحدهم على نزع روحك الرقيقة، ككلامك الطيّب، عن جسدك المضيء، فهذا ما لا يمكنني تخيّله.

أنت راقدٌ هناك، تتأمّل في حالنا، على الأرجح .هل أخذت معك بعضاً من قصاصات الورق التي كانت في جيبك دوماً؟ من سيقول لنا، مثلاً، أننا يجب أن نبحث عن أكبر عددٍ من الأصدقاء لقضيّتنا ، وكيف؟ من سيعلّمنا "الأولويّات" و"ترتيبها"؟ كيف نعرف مثلاً ما يجول في خاطرك هذه اللحظة عن "موازين الربح والخسارة" في السياسة. عن "التوازن بين الحقوق والواجبات" في المواطنة؟ من سيبيّن لنا معنى "المسؤولية" في الكلمة والموقف والسلوك، ومن سيجسّدها، من بعدك؟ فالفارق بين موقف سياسيّ وآخر، لديك، كان "الشعور بالمسؤوليّة"، لا أكثر ولا أقل. كم كنت تردّد هذه العبارات، دون ملل.

من يربّي فينا الأمل الصغير، دون افتعالات أو أوهام كبيرة؟ و النوروز القادم هل سيكون من دونك؟ وما قيمة مدينتنا في غيابك الخاطف؟ ومن سيخطب في الناس، بخجلك المعهود و صوتك الخفيض، دون صخب؟ والمساجين حين يرجعون من العاصمة ، ألنْ تزورهم؟

ثمّة خطأٌ ما، في مكانٍ ما على هذا الكون. خطأٌ ما اُرتُكب صبيحة الأثنين الأسود، و لا سبيل إلى تصحيحه. كلُّ شيء، انتهى، في لحظةٍ واحدة، أيّها المعلّم، ويبقى طيفك النورانيّ، مشعّاً على سماء المدينة.ليس هذا الوقت للإكثار من الكلام عليكَ أيّها الكبير في حياته ومماته؛ عن اعتدالك في كلِّ شيء، عن حكمتك، عن بساطتك وصدقك ونُبلك.....هذا وقت للصمت والبكاء، وحسب.

المفجوعُ بك، إلى الأبد....بدرخان

رثاءٌ، بل وفاءٌ للراحل إسماعيل عمر

✓ **م.رشيد**

بداية شبابي المليئة بالأحلام والحسرات والأمنيات، كانت إحداها التعرف عن قرب على الأستاذ اسماعيل عمر(رحمه الله)، لما له من سمعة طيبة من بين أقرانه ، تميزه عن سواه من المربين والمثقفين والسياسيين، تحققت أمنيتي بعد تخرجي من الجامعة، وترسخت جذورها على المودة والاحترام والصدق والوفاء والصراحة..، فكلما استجدت الأحداث وتغيرت الظروف واختلطت عليّ الأمور، احتجت إلى لقائه للاستيضاح والاستئناس في مختلف القضايا القومية والوطنية والعالمية، فأجده محاوراً ذكياً ونظيفاً، ومناقشاً موضوعياً وعلمياً، في إبداء رأيه وتقبل رأيي، يدير اللقاء بهدوئه وتواضعه المعتادين، وينهيه بتواد ولطف وحميمية...، وهكذا تتكرر اللقاءات حتى أصبحت شخصية وخاصة وبدون مواعيد ومقدمات، لاسيما عندما كان يقرأ لي مقالاً جديداً منشوراً في إحدى الجرائد أو المواقع، فأراه ناقداً ومصححاً حيناً، ومشجعاً وموجهاً حيناً آخر، فكان لي دوماً مبعث الأمل والتفاؤل ، وحافز التقدم والاستمرارية... أحفظ له في ذهني وقلبي ونفسي الكثير من المواقف الشريفة والنبيلة، فعلى سبيل الذكر لا الحصر أورد ما يلي ما أستطيع تصنيفها تحت عنوان "كلنا شركاء":

١- في حفلة تكريم لمجموعة من الكتاب والأدباء الكورد(العام المنصرم)، قال الراحل لهم في كلمة مقتضبة ومعبرة: (كلنا شركاء في القضية، وكلنا مدعوون لحمل وزرها، والنضال من أجلها وكل حسب موقعه وقدراته، ونحن في حزب الوحدة أهل لكم، وملتزمون بدعمكم ومساندتكم حسب إمكاناتنا، متى وكيفما أردتم واحتجتم ...).

٢- وفي ذكرى يوم الصحافة الكوردية لهذا العام، قال الراحل: (نحن ضد احتكار الكوردايه تي ووسائل النضال وأدواته، نحن ضد الوصاية والتسلط والاستعلاء على المستقلين المهتمين بالشأن الكوردي من الكتـّاب والمثقفين ...وانطلاقاً من هذين المبدأين فقد أشركنا بعضهم في مركز القرار السياسي الكوردي من خلال الأمانة العامة للتحالف الكوردي...).

٣- إبان إعلان المجلس السياسي الكوردي في سوريا، ورداً على استفهام مني عن سبب عدم انضمامهم له، قال الراحل: (كلنا متساوون في الحقوق والواجبات، وكلنا شركاء في القضية، وعلينا جميعاً وبدون استثناء المشاركة من خلال لجنة تحضيرية لعقد مؤتمر وطني كوردي عام وشامل لأجل بناء مرجعية كوردية تضم كل الأحزاب الكوردية إلى جانب ممثلي النخب الثقافية والاجتماعية والمهنية...). وختاماً: لقد كان أبا شيار إبناً باراً لقوميته الكوردية ووطنه سورية، وقامة شامخة في ميادين التربية والثقافة والسياسية..، ورمزاً لامعاً في ساحات النضال ضد الاضطهاد والاستبداد، ونجماً ساطعاً في معارك الحرية والديموقراطية.